

الأـدـبـيـة ـ 12-12-2010

1199- شعب عريق قديم: قد يخدع النظام، لكنه يدفع الثمنا!

تعتـعة الـوـفـد

بعد السماح: دعونا ابتداء نفترض أنه لم يحدث تزوير بدرجة تفسر هذه النتائج العظيمة جداً جداً !!!

إذن ماذا حدث في بلد يتمتع بهذا النظام الديمقراطي "الوطني" الجديد، وهو يتعامل باستعجال حديث مع شعب قديم عظيم؟ فيخدعه الشعب هكذا لأن يورطه فيما يبدو أنه لا حل له إلا تحطيل النظام كله؟

كنت قد كتبت مقالاً للنشر هنا الأسبوع الماضي، قبل إعلان نتائج الجولة الأولى، تخيلت فيه النتائج النهائية، بنسب أقرب إلى الواقع، مثلما الوafd: 152 مقعداً بعد انتخابات الإعادة، و الـwfd 101 مقعداً، . . . إلخ إلخ . . .، وتصورت - بهذه النتائج- استحالة التجانس لتشكيل وزارة مسئولة . . . إلخ، لكن يبدو أن ظروف التحرير حالت دون نشر هذا المقال في حينه .. فحمدت الله، فهي فرصة لقراءة أخرى لنتائج الواقع.

اليوم، السبت الموافق 4 ديسمبر صدرت الأهرام الغراء يتتصدرها مقال لرئيس مجلس الإدارة بعنوان "المفاجأة الكبرى"، وهو مقال منطقي جيد، يعدد فيه أسباب النجاح الحقيقي للحزب الوطني، ولا يذكر بعض التجاوزات (التي وصلت إلى أنه وصفها: بالمخالفات الفادحة) لكنه يثبت - ودعونا نصدق- أنها نسبة محدودة، بالمقارنة بعدد اللجان الذي جرت فيه الانتخابات بقدر معقول من الانضباط، (1053) - ألف ثلاثة وخمسمائة - خالفة فادحة إلى 44000 - أربع وأربعين ألف - موقع انتخابي ، وفنفس اليوم كتب رئيس تحرير أخبار اليوم مقاله الرئيسي بعنوان "ليست مفاجأة"، وبرغم هذا الاختلاف الواضح في العنوانين إلا أن المقالين اتفقا على أن الحزب الوطني بفضل ذكاء مديرى حملته، وفضل إعادة تنظيمه، و"جمال" برناجه، قد نجح أن يحصل على ثقة الشعب بشهادة أغلب الناخبين؟

ليكن!! (يعنى: بالمجرى: ماشى!!)

مرة أخرى: على فرض أنه لم يحدث تزوير إلا بهذه النسبة

(واحد إلى 44) في إلـى النـتـائـج كـما وـصـلـتـي تـقـول إن هـذـه الـإـنـتـخـابـات لـم تـعـدـ تـمـثـلـ أـيـة طـاهـرـة سـيـاسـيـة تـبـيـغـ الفـرـصـة لـلـنـاسـ فـرـصـة أـن يـخـتـارـوـا: مـن يـقـودـ الـبـلـادـ، وـيـصـحـ الـاقـتصـادـ، وـيـرـشـدـ الـتـعـلـيمـ، . . . إـلـىـ، فـهـىـ لـم تـعـدـ إـلـىـ فـرـصـةـ مـتـجـدـدـةـ كـلـ عـدـةـ سـنـوـاتـ يـنـتـهـزـهاـ نـاسـ هـذـاـ الشـعـبـ الـمـطـحـونـينـ لـإـحـيـاءـ الـأـمـلـ فـيـ إـمـكـانـ الـحـصـولـ عـلـىـ مـاـ تـيـسـرـ مـنـ مـصـالـحـ فـرـديـةـ أـوـ مـوـقـعـيـةـ، (تـسـمـيـ الدـائـرـةـ الـإـنـتـخـابـيـةـ)، وـأـنـ النـاخـبـينـ قـدـ حـسـبـوـهـاـ هـذـهـ الـمـرـةـ، مـنـ وـاقـعـ الـخـبـرـةـ السـابـقـةـ، فـأـعـطـوـاـ أـصـوـاـتـهـمـ مـلـنـ تـصـوـرـوـاـ أـنـهـ أـقـدـرـ عـلـىـ تـحـقـيقـ هـذـهـ الـمـصـالـحـ الـفـرـديـةـ، أـوـ الـثـلـلـيـةـ، أـوـ الـخـلـلـيـةـ، الـمـحـدـودـةـ وـالـعـاجـلـةـ!ـ.

أـيـنـ الـسـيـاسـةـ بـالـهـ اللهـ عـلـيـكـمـ فـيـ كـلـ هـذـاـ؟ـ أـيـنـ الـمـصـالـحـ الـاقـتصـاديـةـ الـعـامـةـ؟ـ وـالـتـخـطـيـطـ؟ـ وـقـبـولـ الـتـحـدىـ الـقـومـيـ؟ـ وـالـكـرـامـةـ الـوطـنـيـةـ؟ـ وـالـتـمـدـيرـ؟ـ وـالـإـبـدـاعـ؟ـ وـالـتـرـبـيـةـ؟ـ وـالـتـعـلـيمـ؟ـ..ـ بـاـخـتـصارـ:ـ أـيـنـ الـسـيـاسـةـ؟ـ

هـذـاـ بـدـاـلـىـ -ـ بـعـدـ أـنـ اـسـتـبـعـدـ التـزوـيرـ،ـ أـنـ النـاسـ قـدـ اـنـسـجـبـوـاـ مـاـ يـسـمـيـ سـيـاسـةـ:ـ إـمـاـ بـالـمـتـنـاعـ عـنـ التـصـوـيـتـ،ـ إـمـاـ بـهـذـهـ الـنـتـائـجـ الـقـىـ تـعـلـنـ كـيـفـ أـنـهـمـ رـكـزـوـاـ عـلـىـ تـحـقـيقـ بـعـضـ الـمـصـالـحـ الـمـحـدـودـةـ،ـ لـكـنـهـمـ أـبـدـاـ لـمـ يـتـنـازـلـوـاـ عـنـ مـوـقـعـهـمـ مـنـ هـذـاـ الـحـكـمـ وـعـجـزـهـ،ـ وـلـاـ عـنـ رـفـضـهـ لـهـذـهـ الـسـيـاسـةـ،ـ رـبـعـاـ رـأـواـ بـوـعـيـهـ الـتـارـيـخـيـ أـنـ الـذـىـ يـجـرـىـ أـصـبـحـ وـاقـعـاـ مـرـاـ فـاـشـلـاـ يـجـمـلـ مـقـومـاتـ هـدـمـهـ مـنـ دـاـخـلـهـ،ـ وـبـالـتـالـىـ،ـ فـلـتـرـكـهـ يـكـمـلـ الـشـوـطـ حـتـىـ يـنـهـيـ نـفـسـهـ بـنـفـسـهـ بـعـدـ أـنـ يـشـبـعـ فـشـلـاـ لـمـ جـمـولـ دـوـنـهـ بـرـنـامـجـ بـرـاقـ،ـ وـلـاـ خـطـبـةـ عـصـمـاءـ،ـ وـلـاـ وـعـودـ وـرـدـيـةـ،ـ ثـمـ:ـ وـلـاـ يـخـاـجـ فـيـ اـنـتـخـابـاتـ بـهـذـهـ النـسـبـةـ الـقـىـ قـدـ تـعـجـلـ بـنـهـاـيـتـهـ".ـ يـبـدـوـ أـنـهـ -ـ وـالـحـالـ كـذـلـكـ -ـ لـمـ يـبـقـ أـمـامـ النـاسـ إـلـاـ أـنـ "يـسـلـمـوـ الـتـمـاسـاتـ"ـ مـطـالـبـهـمـ الـخـاصـةـ جـداـ (يـقـالـ عـنـ ذـلـكـ بـلـغـهـ هـذـهـ الـدـيـقـراـطـيـةـ:ـ "يـنـتـخـبـوـاـ")ـ إـلـىـ "وـسـطـاءـ"ـ (يـسـمـونـ:ـ "وـابـاـ")ـ آمـلـيـنـ أـنـ يـسـهـلـوـاـ لـهـمـ مـصـالـحـمـ الـذـاتـيـةـ جـداـ،ـ الـمـحـدـودـةـ جـداـ،ـ أـمـاـ الـسـيـاسـةـ وـالـتـخـطـيـطـ لـصـالـحـ الـوـطـنـ كـلـهـ وـمـسـتـقـيلـهـ،ـ فـيـؤـجـلـ حـالـيـاـ لـوـ سـعـتـمـ،ـ حـتـىـ يـأـذـنـ اللـهـ فـيـ أـمـرـ هـؤـلـاءـ بـمـاـ يـسـتـحـقـونـ!ـ

دعـونـاـ نـسـتـمعـ إـلـىـ لـسـانـ حـالـ النـاسـ يـقـولـ:ـ مـاـ دـامـوـاـ هـمـ مـتـمـسـكـوـنـ جـداـ بـهـاـ هـذـاـ،ـ فـلـيـشـرـبـوـهـاـ حـتـىـ النـهـاـيـةـ،ـ وـلـيـبـيـنـوـاـ لـنـاـ شـطـارـتـهـمـ دـوـرـةـ فـدـورـةـ وـسـوـفـ مـجـيـنـ التـغـيـرـ الـحـقـيـقـيـ،ـ وـهـوـ قـادـمـ لـأـحـالـةـ لـشـعـبـ لـأـيـوتـ.ـ

عـزيـزـيـ الـقـارـئـ،ـ مـنـ حـقـكـ أـنـ تـرـفـضـ هـذـاـ التـفـسـيرـ،ـ لـكـ مـنـ وـاجـيـ أـقـولـ لـكـ أـنـقـيـ اـسـتـلـهـمـتـهـ مـنـ الـوـعـيـ الـجـمـعـيـ لـنـاسـاـ،ـ مـثـلـاـ فـيـ الـأـمـثـالـ الـشـعـبـيـةـ،ـ وـسـوـفـ أـورـدـ بـعـضـهـاـ فـيـمـاـ يـلـىـ:

1- إنـ فـاتـ عـلـيـكـ الـغـصـبـ اـعـمـلـهـ جـوـدـهـ

الـقـيـاسـ الـإـنـتـخـابـيـ:ـ مـاـ دـامـوـاـ مـصـمـمـوـنـ عـلـىـ أـنـ يـسـتـمـرـوـاـ عـلـىـ قـلـبـنـاـ،ـ فـتـرـةـ أـخـرىـ،ـ سـوـاءـ بـالـرـاحـةـ أـوـ بـالـقـوـةـ،ـ وـمـاـ دـمـنـاـ نـعـرـفـ النـتـائـجـ مـقـدـماـ 100%ـ،ـ فـلـمـاـذـاـ لـأـنـأـيـ مـنـاـ وـكـأـنـاـ فـعـلـنـاـهـاـ مـخـتـارـيـنـ؟ـ هـأـنـذـاـ أـمـلـ هـذـاـ النـاجـحـ جـيـلاـ بـأـنـ أـنـتـخـبـهـ،ـ مـاـ دـامـ نـاجـحـاـ نـاجـحـاـ بـصـوـتـيـ أـوـ بـغـيـرـ صـوـتـيـ.

الله نافذ
2- إن ضربت أجرتم وأمر الله نافذ، وان ماصبرتم كفرتم وأمر

القياس الانتخاباتي: إن انتخبت الوطني سهل لكم مصالحكم الخاصة، فهو ناجح ناجح، وإن انتخبت منافسه، فإن الناجح الوطني سوف يعرقلك، ويرفض مطالبك، ويتنكر لحقوقك الشخصية كمواطن فرد، لا أكثر.

وهذا قال الناخب لنفسه: لقد أصبح نجاح من أكراه بمثابة القضاء والقدر، فلأنني انتخبه، لأنني لو لم أنتخبه، وهو ناجح ناجح، فلن أرى منه، لا أنا، ولا أهلي، ولا دانوري: غير العين الحمراء، وسوف يقول لي من موقع نجاحه: دور على من ينفعك يا كافرا بفضلني، فحكومة الوطني أقسمت بكل غال أن تعاقب كل من فضل عليها "ممثل الأقلية"، "ربيب المعارضة"، "لقيط المظاهرات" فلتتدفع الثمن يا ناكرا للجميل، وامر الوطني الآخر نافذ" !!

3- "إلى ييجي منه أحسن منه"

القياس الانتخاباتي: "ما هي تسير (آهي ماشية)، صحيح أنه ليس هو، وأنه لن يقدم أكثر مما قدم، لكننا لينا مصالحتنا الخاصة جداً، والخديدة جداً، وأي مكسب يحصل عليه منه بعد نجاحه، هو خير من لا شيء، حتى لو كان هذا المكسب صادر من لا نثق فيه، ولم يحترم حقوقنا، ولم يتقدم بعموم بلدنا إلى ما نريد، لكن ما يحصل عليه منه بصفة خاصة، هو أحسن منه (ولو مرحلياً).

**٤- إنصح أخوك من الصبح للظهر، إن ما سمعسي، غبشه
بقية النهار**

القياس الانتخابي: لقد مارسنا المعاشرة المواجهة، والمعاصرة الهدأة، والمعاصرة المحتجة، والمعاصرة الصحفية، واقتربنا عليهم كل ما جال بخاطرنا، وعملنا مظاهرات على ما قسم، وجمعتن كما أمكن، ونصحنا ونصحنا ونصحنا، ولم يسمع لنا أحد، مع أنه تركونا نتصحهم جداً، بل إن بعضهم، كان يطلب النصيحة، لكن أبداً لم يسمع لنا أحد،

ليكن، فليستمروا فيما هم فيه، ولينخدعوا بهذه النتائج التي قد توهّهم بأن الشعب، أغلب الشعب، كل الشعب!!! يوافق على ما يفعلون، وأن الدنيا بخير، وأن التعليم تمام التمام، وأن الإبداع يتربع، والأمان يستقر... إلخ. إن أمواتنا التي أبجحتم بها هذا القدر في هذا الوقت، هي من قبيل "غش بقية النهار"، مادام لم يستمع لنا من الصبح للظهر

ثم إن قد استبعدت أمثلاً أخرى، لأنني وجدتها لا تليق أن أصف بها شعبنا الجميل، وإن كنت لا أستبعد أن بعضها قد تحرك في قاعوعي بعضنا، مثل:

"الإيد اللي ما تقدر تقطعها بوسها"، "البرطيل شيخ كبير"
"إن كان لك عند العویل حاجة قول له يا عم"، "بكراه يهل
رجب ونشوف العجب"، "حاكمك غزيرك، إن ما طعته يضيئك"،
وأخيراً:

"خلی صاحبك على هواه، لما جيبي ديله على قفاه"

وبعد

لست متمسكاً جداً بهذا التأويل،
ففي النهاية من مسؤولون رضينا أم لم نرض
الشعب هو الذي سوف يدفع الثمن، الآن، أو حتى بعد أن
يتخلل النظام ويطرد هؤلاء وأولئك إلى حيث يستعدون، أو حتى:
إلى "حيث ألقى رحلها أم قثعم"
فلماذا؟